

تفسير ابن كثير

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا
آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ

يقول تعالى : (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض) أي : جعلكم تعمرون الأرض جيلا

بعد جيل ، وقرنا بعد قرن ، وخلفا بعد سلف . قاله ابن زيد وغيره ، كما قال : (ولو نشاء

لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون) [الزخرف : 60] ، وكقوله تعالى : (

ويجعلكم خلفاء الأرض) [النمل : 62] ، وقوله (إني جاعل في الأرض خليفة) [

البقرة : 30] ، وقوله (عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف

تعملون) [الأعراف : 129] . وقوله : (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) أي : فاوت

بينكم في الأرزاق والأخلاق ، والمحاسن والمساوي ، والمناظر والأشكال والألوان ،

وله الحكمة في ذلك ، كقوله : (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم

فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) [الزخرف : 32] ، وقوله تعالى : (انظر

كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) [الإسراء : 21]

وقوله : (ليلوكم في ما آتاكم) أي ليختبركم في الذي أنعم به عليكم وامتحنكم به ،
ليختبر الغني في غناه ويسأله عن شكره ، والفقير في فقره ويسأله عن صبره . وقد روى
مسلم في صحيحه ، من حديث أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه ، قال
: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها
لينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في
النساء " وقوله : (إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم) ترهيب وترغيب ، أن حسابه
وعقابه سريع ممن عصاه وخالف رسله (وإنه لغفور رحيم) لمن والاه واتبع رسله فيما
جاءوا به من خير وطلب . وقال محمد بن إسحاق : يرحم العباد على ما فيهم . رواه ابن
أبي حاتم . وكثيرا ما يقرن تعالى في القرآن بين هاتين الصفتين ، كما قال تعالى : وقوله : (
نبي عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم) [الحجر : 49 ، 50] ،
وقوله : (وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب) [الرعد : 6]
وغير ذلك من الآيات المشتملة على الترغيب والترهيب ، فتارة يدعو عباده إليه بالرغبة
وصفة الجنة والترغيب فيما لديه ، وتارة يدعوهم إليه بالرهبة وذكر النار وأنكالها وعذابها

والقيامة وأهوالها ، وتارة بهذا وبهذا لينجع في كل بحسبه . جعلنا الله ممن أطاعه فيما أمر ، وترك ما عنه نهى وزجر ، وصدقه فيما أخبر ، إنه قريب مجيب سميع الدعاء ، جواد كريم وهاب . وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا زهير ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بالجنة أحد ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من الجنة أحد ، خلق الله مائة رحمة فوضع واحدة بين خلقه يتراحمون بها ، وعند الله تسعة وتسعون " ورواه الترمذي ، عن قتيبة ، عن عبد العزيز الدراوردي ، عن العلاء به . وقال : حسن صحيح . ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى وقتيبة وعلي بن حجر ، ثلاثتهم عن إسماعيل بن جعفر ، عن العلاء . آخر تفسير سورة الأنعام والله الحمد والمنة .